تشكيل

بطرس المعري: هل خلعنا الطربوش حقًا؟

دمشق ـ **خليل صويلح**

لا يستعيد بطرس المعري (1968) دمشق من خانة الحنين، كما توحي أعماله للوهلة الأولى. إنه يعيد بناءها من الضفة المضادة بقصد إطاحة ما هو راسخ في الذاكرة الجمعية التي استقرت على عناصر تخييلية في بناء سرديتها البلاغية المحشوة بوهم البطولات الخارقة، بالإضافة إلى تفكيك الأيقونات الشعبية نحو جذورها الأولى، وتالياً الخروج من أسرها إلى عتبة أخرى بلا قيود. في معرضه «3 سنوات من ممارسة الفايسبوك» الذي تستضيفه غاليري «تجليات» في دمشق، يعزّز اشتغالاته على الموروث الشعبي بنبرة تهكمية أعلى، من دون أن يغادر منطقته الأثيرة: المقهى، والحكواتي، وأبطال السير الشعبية. قد نتكئ على جمالية القيم التي كرّستها هذه العناصر لجهة البطولات والأمجاد والمآثر، لكن التشكيلي السوري المرح، يعاجل إلى خلخلة هذا اليقين بسعيه إلى تحطيم القشرة الصلبة للحكايات الشعبية، وتعرية شخوصها من قدسيتها لدى المتلقّي. خلال إقامته القسرية في هامبورغ الألمانية، لجأ بطرس المعرّي إلى فايسبوك لنشر رسوماته، محاولاً استعادة ذاكرته الدمشقية. وجد في شخصية الحكواتي بؤرة مركزية في تلخيص طبقات المدينة، التي لم تخلع «الطربوش» إلى اليوم، رغم المحن التي عبرتها وما زالت، كأننا لم نخرج من عقلية «العصملي». بشر مسترخون ينفخون دخان نارجيلاتهم بكسل وضجر، فيما الحكواتي يشحذ الهمم بسير آفلة، وسيفٍ مسلول، عن أبطال محتجزين بين دفتي كتاب عتيق، ما إن يغلق دفتيه، حتى يعودون إلى قفص التاريخ المتخيّل. عنترة بن شدّاد «أبو الفوارس» يتحوّل هنا إلى حصان بذيل سمكة تمتطيه عبلة العارية إلا من وردة تحملها بيدها. تخرج ثيران هائجة من متن حكاية أخرى، ويتسلل شخص أجنبي بنظارات غامضة إلى عمق المقهى، مبتهجاً بسحر الزمن الشرقي. في موازاة هذا الهجاء، يتهكّم المعرّي ربما من «ممارسة» فايسبوك باعتبارها بطولة افتراضية، لا تختلف عن أبطال ذلك المجلد القديم بين يدي الحكواتي.

من مجموعة «3 سنوات من ممارسة الفايسبوك» (أكريليك على ورق ـ 2 × 27/ سنتم ـ 2013)

وإذا بعشرات «الفوارس» يستلّون سيوفهم الخشبية في الفضاء الأزرق على بعد آلاف الأميال من موقع الكارثة، في مواقف كرتونية لا أكثر، بينما تتسع رقعة الحطام فوق الأرض. القراءة النوستاليجية لدمشق ومناخاتها السحرية، التي يجدها آخرون، خلال تجوالهم بين أعمال هذا الرسّام، تبدو لنا قراءة قاصرة ومبسترة وعرجاء. ذلك أنها لا تتوغل في الطبقة العميقة لما تبتغيه هذه السرديات البصرية في نبشها لموروث ظلّ بمنأى عن الحداثة، لزوم النظرة السياحية في المقام الأول، وتعزيز فكرة «الاكزوتيك الشرقي»، ولوغو لتمجيد الأسلاف وحسب، وهم بذلك يتخفّفون من ثقل الفاتورة الراهنة وتراكم الهزائم.

اختيار المعري هذا الطراز من الرسم، آتٍ من دراسته الأكاديمية لفنون «التصاوير الشعبية»، ومحاولة تطويرها بما يتواءم مع مستجدات عصر آخر، أقله على صعيد الشكل باستخدامه مواد وأنماطاً مختلفة، إذ لا يتوانى عن مزج الكوميكس مع الكاريكاتور، والكولاج لشحن فكرته بمعنى مختلف عن النسخة الأولى لهذه التصاوير. كما يصالح بين أسلوبي برهان كركوتلي وأبي صبحي التيناوي في بناء لوحته ومقاصدها السردية. كان الأخير من أشهر الرسامين الشعبيين في دمشق الذين عملوا على تخليد أبطال السير الشعبية. وها هو المعرّي يستثمر المناخات نفسها، لكن من موقعٍ مضاد لجهتي المعنى والشكل، في مفكرته اليومية، قبل أن ينقلها إلى صفحته على فايسبوك كنوع من المساهمة في استعادة علاقته بمدينته القصيّة وما تعيشه من آلام وقتل ودمار. كأنه يرغب بإدانة «الحكواتي» نفسه، ودوره في تأصيل تاريخ مزوّر. وإلا من أين أتت هذه الوحوش المتصارعة، وإلى أين فرّ أبو زيد الهلالي والزير سالم وعنترة، من أرض المعركة، ومن سلب عبلة ثيابها وزينتها، ومن صلب المسيح الدمشقي مرة أخرى، وكيف غابت النخوة عن فضاء المقهى؟ متواليات تصويرية تحاكم النص الأصلي أو تعيد صوغه بحبرٍ آخر. وما اختياره عملاً مستوحى من مناخات كركوتلي ولوحته المشهورة «أبو فهد وزوجاته الأربع» ملصقاً للمعرض، إلا إشارة إلى جهد الفنان الراحل في تطوير الفن الشعبي، والإضافة إليه، بما أفرزته المحنة السورية من خراب روحي، لن تنقذه «رقصة الدراويش» التي لم نخرج من خدر وغيبوبة إيقاعاتها إلى اليوم، وكذلك استخدام وسائط الميديا الجديدة في توسيع دائرة حضور هذا الفن عن طريق توضيب مفردات المخيّلة الشعبية بأداء مختلف عمّا هو مألوف، وتحطيم القواعد وفقاً لارتجالاته. نتجوّل بين ردهات المعرض، ونحن نتلمّس رؤوسنا بهلع: هل خلعنا الطربوش حقاً؟

«3 سنوات من ممارسة الفايسبوك» لبطرس المعري: حتى 31 كانون الثاني (يناير) ـ «غاليري تجليات» (دمشق). للاستعلام: 00963112338

ندى بركة ترمّم «كسور» الجسد

القاهرة ـ **محب جميل**

في معرضها الفردي «كسور»، تتناول ندى بركة (1990) مكنونات الجسد وعلاقته بالحيز المجتمعي والسياسي. تحاكي الفنانة المصرية في لوحاتها الجلد البشري بما يحمله من دفء وملمس لتصوغ منه أسئلةً عن عُري الجسد وجمالياته. لدى بركة أسلوبها الخاص وألوانها المتجانسة أحياناً والمتباعدة في أحيان أخرى. رغم العجائبية التي تكتنف معظم أعمال المعرض الذي تحتضنه «غاليري مشربية» في القاهرة، إلا أنها تظل ملموسة. الجسد يظلّ مفتاح اللعبة؛ حيث «ميكانيزم» الجسد هو المحرك لجماليات اللوحات. إنها علاقة بين الجسد والفن البصري، وإلى أي مدى يتفاعل أحدهما مع الآخر.

في لوحة «عِتق» (2014) تحرّر بركة الجسد من قيوده، تعتقه من آثامه، تجله حراً من القيود المرئية وغير المرئية التي يفرضها الوقت عليه. إنها رغبة الفنان الدائمة في الخروج عن سياج الوقت، وتحرير الطاقات الكامنة للروح. بمجرد أن تسلط عينك على أجزاء اللوحة، تتحول إلى مفاهيم واضحة بلا زيف أو رتوش. كأن تلك العناصر المتناثرة في اللوحة تنتظر إحدى العيون لتسقط عليها ثم تتحول إلى واقع مرئي يسرد الحكاية والسر الكامن وراءها. ترسم بركة بعفوية وبسرعة، وبالأكريليك، لا بالمواد الزيتية. في مجموعة أخرى «جسد النسيان» (2014) تتداخل ألوان الأحمر والأصفر والزهري والقرمزي والأرجواني لتحكي موروث الحياة تحت الجلد الحي، كأنها تقول إنّ تحت هذه الجلود حكاية غير مروية. هل أرادت بركة أن تسرد نعمة الجسد المكشوف من خلال سرديات وكادرات بصرية؟ في لوحة «زفرة»، تعمل بركة كجراحة للأعضاء البشرية، تضع كل عضو على حدة، كي تقوم في النهاية بتضفيرها جميعاً في حلقة متواصلة من الجماليات الفنية. تشغلها أسرار الجسد وتفاصيله. الجسد الذي يمثل لدى الفنان معادلاً للكون وتجلياته، فمن الجسد تبدأ مركزية الكون.

«زفرة» (أكريليك على قماش ـ 120×260 سنتم ـ 2014/2013)

بدأت بركة دراسة الفنون في «الجامعة الأميركية في القاهرة» (2007-2011)، ثم حصلت على الماجستير في الفنون الجميلة من «سنترال سانت مارتينز» في لندن (2014). من خلال مجموعة من المعارض الفنية، أدركت قيمة اللون وفلسفته؛ كيفية تحول اللون إلى حالة عامة عن القيود والحرية، عن القهر والعدالة، وعن الجسد والمجتمع. هكذا جاء «كسور» كمعرض فني لترميم شروخ الجسد، واكتشاف جمالياته، وتعرية ممارساته. صاحبة «كسور» تقول إنّه بدايةً من المواد العضوية، وصولاً إلى الصور التجريدية، «تحاول ممارستي الفنية أن تبرز قناعاتي عن الجسد في المجتمع الحالي المؤطر بالعولمة، وكذلك تساؤلات الجسد الأنثوي وتغيراته في ما يتعلق بالتعري أو الحجب». في لوحة «وريد» تبرز الألوان الداكنة صورةً مخيفةً عن الجسد المعذّب. تلك الأعضاء المتناثرة بشكل عشوائي التي لا يربط بينها سوى السِحر والغموض أشبه بتمائم بصرية تصوغ منها بركة عالمها الفني. هذه اللوحات هي انعكاس للجنس، الهوية، الجمال، والمفاهيم الأخرى التي ترتبط بالجسد والروح. الجسد الذي يعدّ معركةً للتمثيل النوعي وما يحمله من دلالات اجتماعية وسياسية معقدة. اختارت بركة الجلد لأن ما يحدث عليه من تأثير يظهر سواء كان بشكل مباشر أو غير مباشر. ليست هذه المرة الأولى التي تعرض فيها «غاليري مشربية» أعمالاً فنيةً تتناول الجسد وأبعاده. فقد سبق لها أن قدّمت كتاب «الحضور الخفي: نظرة على الجسد في الفن المصري المعاصر». يضمّ الكتاب 120 عملاً لـ 25 فنانة وفناناً مصرياً، عن معرض «إخفاء الجسد» الذي احتضنته الصالة عام 2009 بتنسيق ستيفانيا أنغرانو. هنا، أنجز الفنانون رؤيتهم الخاصة عن العلاقة بين الفنون البصرية و«الجسم» كموضوع شائك ومثير للجدل.

«كسور» لندى بركة: حتى 12 شباط (فبراير) ـ «غاليري مشربية» (شارع شامليون ـ وسط القاهرة). للاستعلام: 0225784494

رفيق مجذوب
بورتريهات القلق

يدعونا رفيق مجذوب (1971) في معرضه Rain on me إلى ذاته. لا شيء سوى بورتريهات ذاتيّة. بورتريهات تختزن الكثير من الصدق. في معرضه الذي تحتضنه غاليري 56th Art on (الجميزة) حتى 31 كانون الثاني (يناير)، نرى بورتريهات بالأكريليك والباستيل على كانفاس، وأخرى على صناديق خشبية، إلى جانب فيلم وثائقيّ عن الفنان من إخراج آن ميغالا. في الفيلم الوثائقي، يسرد لنا رفيق رحلته، بدءاً بطفولة أمضاها بين عمّان ودمشق وبيروت وسط عائلة محاطة بالفنانين، ثم وصوله إلى بيروت أوائل التسعينيات حيث بدأ باحتراف الرسم بتشجيع من كريستين طعمة، ليقدّم أول معرض له في ما بات يعرف اليوم بـ«زيكو هاوس». في معرضه الأول، بدت لوحات مجذوب ملوّنة ومسالمة، وفرحة، بعيدة عن تلك التي نعرفها اليوم. أسلوب تخلّى عنه سريعاً، متأثراً بعنف المدينة المدمرة بعد حرب أهليّة طويلة، باحثاً عن أسلوب رسم باطنيّ يخاطب فيه ذاته قبل أن يخاطب به الجمهور. هكذا بدأت تتساقط الغربان السوداء في لوحات مجذوب، وعاد ذلك البرغي الذي عرفه مثبّتاً عظام رجله إثر حادث في طفولته. برغي حفر في جسده عنفاً أعاد رسمه بعنف مواز في لوحاته. تلاشى فرح الألوان، واحتل الأسود المكانة الكبرى، ولم تعد تظهر سوى الألوان الصارخة.

> تأثر بعنف المدينة المدمّرة بعد حرب اهليّة طويلة

يقول مجذوب في الفيلم «غرق بعض أصدقائي البيروتيين في علاقات ومنهم من تزوّج، أما أنا فكنت في علاقة مع الويسكي».

خلال سنوات طويلة، لم يفارق مجذوب الويسكي الذي بدأ يشربه من القنينة لأنه لم يعد يحتمل رائحة الكحول عند شربه من الكوب، إلى أن قرر أن يدخل مستشفى خاصاً للتخلص من الإدمان. هناك رسم يومياً وأصدر كتاب Sober Days عام 2012، ومن ثم كتاباً آخر Drinking From a Broken Glass. أمّا معرضه الأخير في بيروت فكان في «غاليري أجيال» عام 2009. بعد ستّ سنوات، تعود بورتريهاته الذاتيّة اليوم لتعلّق على حائط الغاليري كمرايا لذات محكومة بالقلق. رأس نحيل ذو عينين كبيرتين، وخطوط وجه تتساقط رافضة أن تستقر في السكينة. صاعقة بورتريهات رفيق مجذوب، صاعقة بالصدق الذي تحتويه، وبقدرتها على مخاطبة ناظرها، وعكس قلق راسمها. الوجوه تحيط بك من كلّ مكان. وجوه لا يمكن أسر حالتها في شعور محدد، بل تحكمها تعقيدات المشاعر. ورغم التباعد الكلي بين أسلوبَي الرسم، تشعر كأنك حاضر أمام رهبة البورتريهات الذاتيّة لفان غوغ ذات الأذن المبتورة. لكن الرهبة هنا تتولد من بتر غير مرئي، بتر أقسى وأعنف من ذلك الجسدي. رفيق مجذوب ما زال مصراً على إقلاق راحتنا في مدينة تدّعي السكينة. عبر بورتريهاته الساكنة على الحائط وعيونها الجاحظة، يدعو الأرق إلى جفوننا لتبقى لحظة مواجهة الفنان في لوحاته لحظة صدق يندر أن نجدها في الأعمال الفنيّة، فلا تترددوا في زيارة المعرض.

روي...

Rain on me لرفيق مجذوب: حتى 31 كانون الثاني (يناير) ـ Art on 56th Gallery (الجميزة ـ بيروت). للاستعلام: 01/570331